مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2570 0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 07 العدد: 02 جوان (2023) ص 668-677

ثقافة النسق وتحولات الخطاب الشعري الجاهلي عند يوسف عليمات

The culture of the system and the transformations of the pre-Islamic poetic discourse of Youssef Alimat

سعيدة تومي*
جامعة البويرة (الجزائر)
s.toumi@univ-bouira.dz

مصطفى البشير قط
جامعة المسيلة (الجزائر)
mostefaelbachir.gatt@univ-msila.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/04/24
تاريخ القبول:
2023/05/04

الكلمات المفتاحية:
- ✓ النسق
- ✓ الشعر الجاهلي
- ✓ يوسف عليمات.

الملخص:

تعد تجربة الناقد يوسف عليمات في قراءة الشعر الجاهلي من خلاله كتابه " النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي" تجربة خصبة وخاصة فهي مقاربة ثقافية في نقد الأنساق وكشف مضمراتها، تتبنى مقولات الثقافة في استنطاق النص الشعري الجاهلي تتجاوز كل ما قدمه النقد الحديث و المعاصر من دراسات حول الشعر الجاهلي ، فقد انبثق النقد الثقافي من رحم الدراسات الثقافية التي عملت على توسيع أفق التحليل متجاوزا في ذلك الحمولة اللغوية و بريقها الجمالي إلى رحاب الثقافة وامتداداتها الشاسعة.

Article info

Received
24/ 04 / 2023
Accepted
04/05/2023

Keywords:
- ✓ *Theme.*
- ✓ *Pre-Islamic Poetry*
- ✓ *Youssef Alimat*

Abstract :

The experience of the critic Youssef Alimat in reading pre-Islamic poetry through his book "System Criticism / Representations of Patterns in Pre-Islamic Poetry" is a fertile and special experience, as it is a cultural approach in criticizing systems and revealing their implications. From studies on pre-Islamic poetry, cultural criticism emerged from the womb of cultural studies that worked to expand the horizon of analysis beyond the linguistic load and its aesthetic luster to the vastness of culture and its vast extensions.

* المؤلف المرسل

. مقدمة:

تعد تجربة الناقد يوسف عليمات في قراءة الشعر الجاهلي من خلاله كتابه " النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي" تجربة خصبة وخاصة فهي مقاربة ثقافية في نقد الأنساق وكشف مضمراتها، تتبنى مقولات الثقافة في استنطاق النص الشعري الجاهلي تتجاوز كل ما قدمه النقد الحديث و المعاصر من دراسات حول الشعر الجاهلي ، فقد انبثق النقد الثقافي من رحم الدراسات الثقافية التي عملت على توسيع أفق التحليل متجاوزا في ذلك الحمولة اللغوية و بريقها الجمالي إلى رحاب الثقافة وامتداداتها الشاسعة.

تروم هذه الورقة البحثية الموسومة **بـ"ثقافة النسق و تحولات الخطاب الشعري الجاهلي عند يوسف عليمات** الوقوف عند قراءة مغايرة للشعر الجاهلي ترصد الأنساق الثقافية المتوارية خلف جمالياته اللغوية ، و هي في الحقيقة نموذج من نماذج كثيرة للناقد الثقافي يوسف عليمات رحمه الله ، فقد امتد مشروعه الثقافي في قراءة الشعر الجاهلي لسنوات طوال أبان فيها الناقد عن تحكمه بإجراءات المقاربة الثقافية و كشف في دراساته المختلفة عن مضمرات الشعر الجاهلي وتجلياته المتعددة .

2.النقد الثقافي / وقفــة تنظيريــة مختصــرة: ترجع ارهاصات ميلاد النقد الثقافي كمصطلح جديد إلى الدراسات الثقافية Culturel Studies التي تبلورت معالمها منذ 1964م بتأسيس ريتشارد هوغارت لـ"مركز برمنغهام للدراسات الثقافية " التي تركز على دراسة الكثير من الانتاجات القولية و الممارسات الثقافية باعتبارها ظواهر نصيّة لا يمكن فهمها من دون سياقها الثقافي ، و قد مرت هذه الدراسات بتطورات عديدة و أثمرت مؤلفات تعد من بواكير الدراسات الثقافية نذكر منها على سبيل المثال : كتاب **"ماثيو أرنولد"** بعنوان **"الثقافة والفوضى" 1869م** و كتاب **تايلور أيضا "الثقافـة البدائية "1871م** و غيرهم (عبد القادر طالب، 2018، ص344،345).

غير أنّ الميلاد الرسمي للنقد الثقافي كان في الثمانينات من القرن العشرين **1985**م بالولايات المتحدة الأمريكية من قبل **الناقد الأمريكي ليتش** حين دعا إلى مشروع نقدي يحمل مصطلح " النقد الثقافي" محددا مهمته في "تمكين النقد المعاصر من الخروج من نفق الشكلانية و النقد الشكلاني التي حصر الممارسات النقدية داخل إطار الأدب كما تفهمه المؤسسات الأكاديمية الرسمية، و بالتالي تمكين النقاد من تناول مختلف أوجه الثقافة و لاسيما تلك التي يهملها عادة النقد الأدبي"(الكبيسي طراد،2009، ص44) .

يتميز النقد الثقافي عند **ليتـــش** بثلاث ميزات وخصائص هي:(**الغذامي عبد الله**، ، 2005.ص 32)

1 – لا يؤطر النقد الثقافي فعله تحت إطار التصنيف المؤسساتي للنص الجمالي، بل ينفتح على مجال عريض من الاهتمامات إلى ما هو غير محسوب في حساب المؤسسة، وإلى ما هو غير جمالي في عرف المؤسسة سواء أكان خطابا أم ظاهرة.

– من سنن هذا النقد أن يستفيد من مناهج التحليل المعرفية من مثل: تأويل النصوص ودراسة الخلفية التاريخية، إضافة إلى إفادته من الموقف الثقافي والتحليل المؤسساتي.

3 – الذي ميّز النقد الثقافي الما بعد بنيوي هو تركيزه الجوهري على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي كما هي لدى بارث ودريدا وفوكو، خاصة في مقولة دريدا "لا شيء خارج النص"، وهي مقولة يصفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي الما بعد بنيوي ومعها مفاتيح التشريح النصوصي عند (بارث) وحفريات (فوكو).

أما النقــد الثقافي عربيا فتأسس على يد الناقد السعودي **عبد الله الغذامي** أول من تبنى فلسفة النقد الثقافي عربيا تنظيرا وتطبيقا من خلال كتابه :النقد الثقافي/ قراءة في الأنساق الثقافية العربية " الصادر في طبعته الأولى عام 2000 عن المركز الثقافي العربي ، و قد حظي هذا التوجه باهتمام العديد من النقاد العرب و أثمر ذلك جملة من المؤلفات نكتفي بذكر

بعضا منها : نادر كاظم و مؤلفه **"تمثيلات الآخر"** الصادر 2004م، عبد الله ابراهيم **"النقد الثقافي /مطارحات في النظرية و المنهج والتطبيق"** 2004م و محسن جاسم الموسوني **"النظرية والنقد الثقافي " 2005 م** وعبد القادر الرباعي بمؤلفه **"تحولات النقد الثقافي"** 2007م وعبد الفتاح أحمد يوسف وكتابه **"قراءة النص و سؤال الثقافة"**2009م وغيرها من الكتب التنظيرية و التطبيقية .

3. تجربة الناقد يوسف عليمات في النقد الثقافي :

سبق و أن أشرنا إلى أنّ تجربة الناقد يوسف عليمات في النقد الثقافي تعد من أهم التجارب في العالم العربي بالنظر إلى ما قدمه الناقد في مساره النقدي من دراسات منهجية عديدة تتسم بجدية الطرح و عمق الرؤية و استيعاب واضح لإجراءات المنهج التي تظهر بشكل جلي في بمؤلفاته الثلاث **" جماليات التحليل الثقافي"**2004م، و" **النسق الثقافي /قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي "**2014م، و **"النقد النسقي/تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي"** 2015م، ،

لقد استفاد الناقد عليمات في تجربته هذه من معطيات الفكر النقدي الغربي ولاسيما ما يعرف بالجماليات الثقافية أو التاريخانية الجديدة ناهيك عن جملة من النقاد أمثال ميشال فوكو ، هيلاري سكور، كاترين غولفر وغيرهم. . ستحاول هذه الورقة البحثية الوقوف عند قراءة الناقد عليمات للشعر الجاهلي في مؤلفه "النقد النسقي/تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي" وهي مقاربة ثقافية للنص الشعري الجاهلي تكشف عن وجه مغاير من القراءات .

يستعرض الناقد في هذا الكتاب تعريفا توضيحيا للنقد الثقافي والذي يتبنى فيه مصطلح النقد النسقي إذ يؤكد أنّ" النقد النسقيّ بدأ كحقل معرفي ضمن الدراسات الثقافية أواخر خمسينيات القرن الماضي، ويُعد نشاط فكري يتخذ الثقافة بشموليتها موضوعا لبحثه وتفكيره، ويعبر عن مواقف معينة إزاء تطوراتها وسماتها، ومن أهدافه استكشاف الوظائف الأيديولوجية للنصوص في مراحل تاريخية متنوعة، وفي ممارسات ثقافية متباينة . (عليمات يوسف ، 2015، ص10).

ويعرف بعضهم النقد الثقافي بأنه النقد الذي يتغلغل في بنية النصوص الأدبية من أجل إعادة إنتاج دلالاتها الثقافية العميقة المتحكمة أصلا في سيرورة القيم الإنسانية والحضارية وغيرها، وهوي قف مع الدعاوى التي ترى بأن النقد الأدبي ظل منشغلا بما هو خيالي واستعاري وجمالي ولم يرتبط أولم يصل إلى الحقائق الحقيقية في بنية العقل وبنية النفس وبنية الإنسان.

ومن ثم يعمل النقد الثقافي على استغلال البنية الأدبية المحدودة من أجل استكشاف البنية الثقافية الموسعة أو الشاملة، أي أن النسق أو الأنساق تعوض النص والنصوص، وما هو جماهيري مضمر أو مسكوت عنه يعوض ما هو نخبوي أو دلالي متفق عليه، بمعنى أن الفاعل الحقيقي في السيرورة التاريخية والانسانية يحجبه الفاعل الأدبي المؤسساتي الذي ينبغي تجاوزه إلى ما هو أبعد وأعمق وأعم، وهي المهمة المشكِّلة لماهية النقد الثقافي و الموكولة إليه على حد مزاعم مختلفة وكثيرة تعود إلى المنطلقات النظرية كما تعود إلى المفاهيم أو التنويعات المتعاقبة، والمتمركزة غالبا حول أسئلة السياق وأسئلة الثقافة وأسئلة الإنسان.

تعتبر الأنساق المضمرة والمعلنة من أهم مفردات النقد الثقافي وأبلغ الركائز التي يعتمد عليها فهي التي نجدها في التعريفات التي ترى بأن النقد الثقافي هو تخصص:" معرفي أو أكاديمي ومنهج تحليل للثقافة من منظور اجتماعي.(ديورينغ سايمون، 2015، ص9). وهذا ما ذهب إليه"آرثر آيزبرجر" بتعريفه على أنه :"نشاط وليس مجالا معرفيا خاصا بذاته، فالنقد الثقافي مهمة متداخلة مترابطة متجاوزة متعددة، كما أن نقاد الثقافة يأتون من مجالات ويستخدمون أفكارا ومفاهيم متعددة، وبمقدور النقد الثقافي أن يشمل نظرية الأدب والجمال والنقد وأيضا التفكير الفلسفي وتحليل الوسائط وبمقدوره أيضا تفسير نظريات

ومجالات علم العلامات ونظرية التحليل النفسي والنظرية الماركسية والاجتماعية...والبحث في الوسائل الأخرى المتنوعة التي تميز المجتمع والثقافة المعاصرة وغير المعاصرة". (آرثر ايزابرجر ،2000،ص31).

نستخلص من هذا بأن النقد الثقافي لم ينحصر في تخصص واحد بل تعدى ذلك إلى تخصصات أخرى، باعتباره نشاطا معرفيا ثقافيا متفتحا على جل العلوم وهوليس جديدا بمادته العلمية فقط بل بمضمونه أيضا.

ويعد النقد النسقيّ Categorical Criticism بتعددية مفاهيمه واصطلاحاته: النقد المعرفي، والنقد الحضاري، والنقد الثقافي، اتجاهاً نقدياً فاعلاً في اكتناه النصوص تعميما، والنص الشعري الجاهلي تخصيصا؛ بغية الكشف عن حركيات الأنساق وتجلياتها الموضوعية في بنية القصيدة الجاهلية"(عليمات يوسف ، 2015، ص7).

إنّ البحث في الأنساق الثقافية بحث يستثمر ما قدمه النقد الثقافي من أفكار وطروحات مغايرة في فهم النص الأدبي باعتباره نصا ثقافيا في بعده الأوسع، يحاول الكشف عن الأنساق الثقافية التي تتخذ من النص وسيلة للمرور و التغلغل في شخصية الفرد العربي ، ذلك أنّ النصوص الأدبية في طرحها الثقافي تحمل أنساقا ثقافية مضمرة تتخذ من إبداعية النص وسيلة للتخفي. (تومي سعيدة ، قط مصطفى البشير، 2019،ص52).

4. الشعر الجاهلي في ضوء كتاب "النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي :

يقع كتاب "النقد النسقي/ تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي" في (184) صفحة من االحجم المتوسط، يحتوي على أربع دراسات منهجية ضمن أربعة فصول، وفصل تقديمي حول "النقد النسقي: مدخل نظري"، وجاء الفصل الأول تحت عنوان "سيميائية النسق الثقافي: قراءة في معلقة امرئ القيس"، والفصل الثاني جاء تحت عنوان "تمثيلات السلطة: قراءة تفكيكية في معلقة عمرو ابن كلثوم"، وتناول الفصل الثالث: "جدلية المُقدّس والمُدّنس: قراءة طباقية في معلقة عنترة"، والفصل الرابع حمل عنوان "مركزية الفقد وثقافة التعاويذ: دراسة أسلوبية في قصيدة مالك بن حريم الهمداني.

وهي في مجملها قراءات مغايرة للشعر الجاهلي بوصفها نصوص ثقافية تضمر أنساقا لتشكل نمطا جديدا من القراءة و التأويل ، يقول الدكتور عليمات في مقدمة كتابه "على الرغم من الكثرة الكاثرة للدراسات النقدية التي اكتهنت لغة الما وراء في بنية النص الشعري الجاهلي بسيروراتها المنهجية: أسطورية، ونفسية، وبنيوية، وأسلوبية، وتفكيكية، و سيميائية، وتداولية، وثقافية...الخ، فإن النص الشعري الجاهلي ما زال نصا مُتمنّعاً وغامضا ومنفتحا، بلا حدّ، على ما يمكن أن ينتجه جديد النظريات والاتجاهات النقدية في مرحلة المابعديات، أي ما يطلق عليه، فلسفيا، زمنية ما بعد بعد البنيوية Post-Post Structuralism".

يشير الناقد الثقافي الدكتور عليمات في مؤلفه المذكور إلى "أن القصيدة الجاهلية بوصفها نصاً ثقافياً، ومجتلى معرفيا منتجا للأنساق ،تموضع الجدلي و الفلسفي و الإشكالي من أجل تشكيل عوالم وفضاءات ينجدل فيها الواقعي بالمتخيل وتندغم فيها الذات بالمعية : تقاربا أو تصادما / تضادا، مما يحفز المتلقي المختلف على اكتناه هذه العوالم ، ومن ثم الكشف. عن تجلياتها ضمن مسار فاعل للأسئلة الحارقة حول الانسان و الزمكان... و في ضوء هاته الجدليات الشائكة بكلية فاعلياتها النسقية تظل القصيدة الجاهلية نابضة بالتوتر، وحسّ القلق، والتساؤل بفعل تمحورها حول قضية الإنسان؛ مما يجعلها قصيدة قابلة للقراءات والتأويلات المضاعفة". (عليمات يوسف ، 2015، ص8).

تأسيسا على ذلك سنحاول استعراض ما قدمه الناقد يوسف عليمات في كتابه النقد النسقي /تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي

1-4- سيميائية النسق الثقافي: قراءة في معلقة امرئ القيس": لقد شكلت معلقة امرئ القيس نموذجا للنص الأيديولوجي السياسي بفعل اكتناه حركية الأنساق الثقافية في المقاطع المؤسسة لهيكلية النص، و هي في مجملها أنساق ذات دلالات سيميائية تنتمي إلى السياق الاجتماعي والتجربة الإنسانية المؤطرة لعالم الشاعر. (عليمات يوسف ، 2015، ص64).

و يؤكدالناقد في دراسته السيميائية للنسق الثقافي الكامن وراءها إلى أنه " إذا كانت الطللية في فاتحة النص مسؤولة عن تهدّم البناء الاجتماعي، وغياب السلطة السياسية، وتشكل الخواء المكاني، فإنّ امرئ القيس تمكن في معلقته من استحداث أدوات و استراتيجيات ثقافية واعية شكلتها مقاطع المعلقة ، إذ أسهمت هذه الأدوات في تأسيس ملامح هوية جديدة للمجتمع الجديد / السلطة الجديدة التي تنعتق من اكراهات المكان و تجليات الفقد السلطوي، لتعلن فاعلية الذات و تمركزها في إطار الجماعة". (عليمات يوسف، 2015، ص64).

كشفت المقاربة الثقافية لمعلقة امرئ القيس عن تقسيمه لمقاطع استعرضها الناقد في كتابه على النحو التالي:

* أولا : المقطع الطللي.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل**

وتتجلى فيه طقسية بكائية متعددة الوظائف و الأبعاد ضمن النسق الأيديولوجي فارتبطت بالإنسان والبعدين الزماني المختزل (ذكرى حبيب/ زمن السلطة ، الملك) و المكاني المكثف (سقط اللوى، الدخول، الحومل)، وغيرها من الأماكن التي ترد في البيات الموالية و هي في جملتها علامة سيمائية دالة على ذلك النفوذ الممتد مكانيا لسلطة الماضي لينتهي المقطع باستنتاج منطقي لدى الشاعر امرئ القيس مفاده أن ديمومة البكاء لا تجدي نفعاو لا تعيد سلطة .

* ثانيا : المقطع الأنثوي ، و الذي يبدأ من البيت :

كدأبك من أمّ الحويرث قبلها * وجارتها أم الرباب بمأسل**

*ثالثا : المقطع الليلي:

وليل كموج البحر أرخى سدوله * عليّ بأنواع الهموم ليبتلي**

*رابعا مقطع الذئب:

وقربة أقوام جعلت عصامها * على كاهل منّي ذلـــول مُرحل**

* خامسا: مقطع الفرس:

وقد أغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل**

* سادسا : مقطع المطر:

أصاح ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين في حبّي مكلل**

يضيق بنا المقام استعراض كل ما وقف عنه الناقد يوسف عليمات في مقاربته الثقافية لمعلقة امرئ القيس غير أنّه يؤكد أنّ القراءة الثقافية للنص الشعري تبرهن أنه بوصفه تشكيلا جماليا لغويا أداة اللغة المخاتلة يضمر في بنيته العميقة موضوعات إشكالية تبدو على تماس مباشر بواقع الشاعر ورؤيته الذاتية للوجود.

2-2- تمثيلات السلطة: قراءة تفكيكية في معلقة عمرو ابن كلثوم":

يبدأ الناقد يوسف عليمات في وقفته التفكيكية لمعلقة عمرو بن كلثوم بإطلالة تنظيرية حول التفكيكية والحديث عن أهمية الأدب في ظل التفكيكية و التي ترجع إلى طاقته في توسيع حدوده بهد أطر الواقع المتعارف عليها (التقليدية)، و من ثم فهو يميط اللثام عن طبيعتها التاريخية العابرة (المؤقتة)، فالنصوص الأدبية العظيمة دائما ما تفكك معانيها الظاهرة سواء

كان مؤلفوها على وعي بذلك أم لا / من خلال ما تقدمه مما يستعصى على الحسم (ما لا يمكن القطع به) و يجب على القراءة التفكيكية للنص أن تفك (عقد) خيوطه. (عليمات يوسف ، 2015، ص68).

إن القراءة التفكيكية لنص شعري تاريخي كما هو الشأن في معلقة عمرو بن كلثوم يرمي إلى تفكيك نسقياته الأيديولوجية، وما تنطوي عليه من تمثيلات سلطوية متعارضة و هي التي تتمحور حول حضورها الجدلي حول فكرة الصراع بين نسقين أساسيين ، يحاول كل منهما الهيمنة على النماذج الإنسانية عبر تمثيلاتها النصيّة ،وهذان النسقان هما : **نسق السلطة الحاكمة عمرو بن هند، و نسق السلطة المعارضة و يمثله صوت الشاعر عمرو بن كلثوم** إذ يحاول كل نسق أن يؤسس ذاته على حساب الآخر (عليمات يوسف ، 2015، ص95).

وقد خلص الناقد يوسف عليمات من خلال مقاربته التفكيكية لتمثيلات السلطة في معلقة عمرو بن كلثوم عن رؤية عميقة للشاعر الجاهلي في ضوء صراعه مع السلطة السياسية الحاكمة وقت ذاك أي سلطة عمرو بن هند ملك الحيرة.

ويمكن تفكيك هذه النماذج السلطوية في بنية المعلقة على النحو التالي :

أولا: سلطة الأنثى الساقية (الأبيات 1-7): إذ تشكل الأنثى في بنية المعلقة نواة مركزية تنفتح دلاليا على موضوعات و إشكالات وثيقة الصلة بانفعالات الشاعر فالأنثى هي واهبة اللذة و النشوة .

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمور الأندرينا**

ثانيا :سلطة الظعينة المفارقة (الأبيات8-19) :

قفي قبل التفرق يا ضعينا * نخبّرك اليقين و تخبرينا**

ثالثا : سلطة الفحل الحاكم (الأبيات 20-51) :

أبا هند فلا تعجل علينا * وأنظرنا نخبرك اليقينا**

ويبدو الخطاب الموجه للذات السلطوية الحاكمة جاء مشوبا بنبرة التحدّي، إذ يستحدث الشاعر ثقافة الاستعلاء نفسها التي يمارسها النموذج السلطوي / عمرو بن هند .

رابعا: سلطة الذاتي / القبلي (الأبيات 52-66): أسهمت فكرة الحماية القبلية في ترسيخ الحضور الذاتي / القبلي أمام السلطة المضادة .

فهل حُدِثت في جُشم بن بكر * بنقص في خطـوب الأوّلينا**

ورثنا مجـــد علقمة بن سيف * أباح لنا حصون المجد دينا**

خامسا : سلطة الآخر / القبلي المضاد (الأبيات 67-82) :يضحي الآخر عقدة الشاعر فهو الخصم الذي يسعى إلى تقويض هويته أو إلغاء وجوده.

إليكم ، يا بني بكر إليـــكم * ألّما تعرفوا منا اليقينا ؟**

سادسا : سلطة الظعينة المحاربة (الأبيات 83-94).

على آثارنا بيض كراما * نحاذر أن تفارق أو تهون**

و تتمحور هذه الرؤية حول جدلية مركزية في الرفض/الانتماء، فالشاعر يتبنى فكرة الرفض بوصفها قيمة تأسيسية ضد أساليب القهر والعبودية والاقصاء التي كان يمارسها عمرو بن هند /ملك الحيرة، والذي كان مضرط الحجارة أو المحرق الثاني لكثرة ظلمه و غدره.

لقد استحدث الشاعر عمرو بن كلثوم آليات أو إنتاج أنساق فاعلة لخلق واقع مغاير يكسر من خلاله جمود الزمن و ايقاعات الانكسار ، بفعل تأكيد مركزية الذات (الشاعر ، تغلب، العرب) التي تسعى بفخرها و عنفوانها اللامحدود إلى تأسيس صورة الثبات للمرأة التي تنتمي إلى عالم الشاعر (الساقية :تجربة المتعة – الظاغنة :تجربة الحرب) ، و هما في رؤية الشاعر عالمان متلازمان ومتكاملان ، تمكن الشاعر عمرو بن كلثوم من تقويض حضور الاخر المضاد (عمرو بن الهند-قبيلة بكر / القبائل المضادة) بفعل حضور ثقافة الدم و التطهير. (عليمات يوسف ، 2015، ص96).

2-3- جدلية المُقدّس والمُدنس: قراءة طباقية في معلقة عنترة": تكشف **القراءة الطباقية** عن الأصوات الإنسانية التي تنبثق عن طريق المقاومة، ونستعيد من خلال خصوبة الحياة الإنسانية التي قمع فيها الصوت الأقوى بعنصريته الدفينة سائر الأصوات الأخرى، لذا يبدو البحث في إشكالية الهوية مسارا فاعلا في منهج القراءة الطباقية ، خاصة و أن « الهوية تعطي للإنسان معنى يشرح دلالات حياته و حينما يتحول معنى الهوية إلى رصيد من التجارب المتوارثة إلى درجة تصبح معها الأسماء و الألسنة والثقافة مادة لتمييز شخص عن شخص ثم تصبح مادة لضمائر أخطر من ضمائر الذات أي : نحن و هم ، و إن كانت الخصائص الذاتية أساسا لتمييز الشخص من اسمه و لغته و لونه فهي أيضا مادة لفرزه عن الآخرين المختلفين عنه مثلما هي مادة لجذبه لمن هم على شاكلته ». (الغذامي عبد الله، 2009، ص51).

وفي استنطاق الناقد يوسف عليمات رحمه الله لمعلقة عنترة بن شداد وفق القراءة الطباقية يخلص إلى أنّ هذا النص الشعري الجاهلي حافل بإثبات الذات في مقابل الآخر وهي بوصفها "نصا ثقافيا إشكاليا تضمر في بنيتها النصية أنساقا للصراع الطبقي المتجسد في جدلية **المقدس/ القبيلة الحاكمة**، و **المدنس/ العبد** أو الهجين المنبوذ" (عليمات يوسف ، 2015، ص102).

تتمحور معلقة عنترة حول جدلية أساسية تنبني عليها المعلقة ، وتتشظى بفعل حركيتها و فاعليتها المركزية في بنية النص إلى ثنائيات متضادة في الفكر و الرؤية ، إنّها **جدلية المقدس و المدنس** المرتبطة بتصورات عنترة تجاه الواقع الاجتماعي ، وما يندرج في إطار هذا الواقع من تناقضات و إشكالات طالما أرقت الشاعر، و أسست لولادة الذات الرافضة دائما لمظاهر القهر و التسلط و الهيمنة التي أضحت ممارسة قمعية دائبة تحرص الطبقة المتنفذة في المجتمع الجاهلي على تكريسها في حياة الفرد الدوني أو الهامشي. (عليمات يوسف، 2015، ص103) قامت القراءة الطباقية لمعلقة عنترة بن شداد بكشف جدلية المقدّس و المدنس من خلال المكونات الرئيسة التالية:

*المكوّن الأول : الذات القلقة و جدليات الطلل (الأبيات من 1/إلى 12)

هل غادر الشعراء من متردم * أم هل عرفت الدار بعد توهم**

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي**

الطللية في رؤية عنترة ناجمة عن الاستبداد و الظلم الاجتماعي و النظرة الفوقية الاستعلائية التي باتت تحكم العلاقة بين أبناء المجتمع / القبيلة الجاهلية ، و يضيف الناقد عليمات أن الشاعر عنترة كما يظهر في أسلوبي الاستفهام و النداء متمسكا بفكرة المكان المقدس الذي نسبه إلى محبوبته عبلة لا إلى قبيلته عبس ، ذلك أنّ صورة القبيلة في خيال الشاعر تبدو سالبة و منفرة كونها تؤمن بفكرة الرّق، وتقيّد حرية الانسان بفعل استعباده واقصائه.

* المكوّن الثاني : الفردوس المفقود و ثقافة الحنين (الأبيات من 13/إلى 21)، يبدأ هذا المقطع من :

إذ تستبيك بذي غروب واضح * عذب مُقبلـــــه لذيذ المطعم**

*المكوّن الثالث : الناقة العجائبية وتقاطعات الحلم(الأبيات 22/إلى 34).

هل تبلغني دارها شدنيـة * لــعنت بمحروم الشراب مصرّم**

*المكون الرابع : سلطة العبد الهجين و تحولات القبيلة (الأبيات 35/إلى79).

إن تغـدفي دوني القناع فإنني * طب بأخذ الفارس المستلئم**

أثني علي بما علمت فأنني * سمـــح مخالطتي إذا لم أظلم**

فإذا ظُلمت فإنّ ظلمي باسل ** مــرّمذاقه كطعم العلقــم**

كشفت المعلقة في ضوء هذه المقاربة عن عبقرية الشاعر الجاهلي عنترة على اختراق النظام المحرمي الذي ارتقى في عقلية القبيلة الجاهلية إلى درجة المقدس ، ومن ثم مواجهة الهيمنة التي تمارسها القبيلة بحق العبيد ، انطلاقا من مشروعية التقديس بهيمنة مضادة تحترم الذات الإنسانية و تعلي قدرها، و تنقذها من قانون الطللية التي تحرص القبيلة الحاكمة على تكريسه في حياة العبيد. (عليمات يوسف، 2015، ص136).

2-4- مركزية الفقـد و ثقافــة التعاويذ / دراسة أسلوبية في قصيدة مالك بن الحريم الهمذاني : الأسلوبية الثقافية مصطلح يُطرح انسجاما مع الأسلوبيات المتعددة تبعا لتعدد المناهج النقدية التي سعى منظروها إلى تحديد الأسلوبية، تنظيرا واجراء وفق لطروحات تلك المناهج.

الأسلوبية الثقافية تؤكد فاعلية المنبهات أو الخصائص الأسلوبية في الكشف عن مضمرات الثقافة، وكذلك دور الأنساق الثقافية في تشكيل النص الأدبي تعميما و النص الشعري تحديدا (عليمات يوسف ، 2015، ص137)، كما تؤكد قيمة الثقافة في إنتاج الأنساق .

يتبنى الناقد يوسف عليمات الأسلوبية الثقافية في استنطاق قصيدة مالك بن حريم الهمذاني مستعرضا ثنائية "مركزية الفقد / الموت وثقافة التعاويذ/ أنشودة الحياة " وبناء على ذلك فإنّ أبيات هذه القصيدة تتأسس أسلوبيا على مقطعين بنيويين يشملان بدورهما مقاطع صغرى نامية ذات حركيات و فضاءات نسقية هما "

* أولا: مقطع الفقد الإنساني (الأبيات 1-10). إذ ينفتح المقطع الأول على ثنائية متضادة الخوف من اللحظة الآنية (الشيب و كبر السن)/ و الحنين إلى زمن الشباب إذ يقول الشاعر:

جزعت ولم تجزع من الشيب مجزعا * وقد فات ربعي الشباب فودّعا**

ولاح بياض في ســـواد كأنّـــه * صواربجوّكان جدبا فأمرعا**

إنّ الصورة التي تقدمها فاتحة النص في ضوء جدلية الشيب / الشباب صورة مأساوية قاتمة إذ أن معنى التحقق و الاكتمال الحدثي كما يبدو في الأفعال الماضية (جزعت ، قد فات ، لاح) يشكل إنذارا بتلاشي قيمة الحياة، و إيذانا بالدخول في محنة الفقد و التحول من الايجاب / الشباب إلى السلب/ الشيب. (عليمات يوسف، 2015، ص146). ويشكّل حضور الأنثى مشهدا من الماضي البعيد ليصبح ذكرى يعيش عليها الشاعر:

تذكرت سلمى و الرّكاب كأنّها * قطا واردبين اللفاظ و لعلعا.**

ويقول في موضع آخر من نفس المقطع :

أهيـــم بها لم أقض منها لبانة * وكنت في سالف الدهر موزَعا**

فالشاعر يحاول أن يحفظ الذاكرة أو يحميها من فعل الزمن /الشيب، و هذه المحاولة تنم عن وعي لديه بضرورة تحدي ايقاعات الزمن التي تسلبه كل قيمة نبيلة و جميلة في الحياة.

*ثانيا: مقطع التعاويذ المضادة (الأبيات من 11-40). ولكن الشاعر في المقطع الثاني يتخذ ثقافة فاعلة للخروج من مأزق الهزيمة و الانكسار أمام سلطة الزمن التي جعلت منه انسانا هامشيا منفردا بعد أن سلبته سلطة الشباب بفعل تعزيز مركزية الأنا / الحياة بدلا من مركزية الفقد، وكأنه يعيد بناء الأشياء التي بددها الزمن عبر نسق فاعلية الذات العاملة (الأبيات11-19) و نسق فاعلية العمل الجمعي (الأبيات20-40).

فالأولى تحضر من خلال المقطع الذي يبدأ بـ:

و إنّي لأستحي من المشي أبتغي * إلى غيــرذي المجد المؤثل مطمعا**

وأكـــرم نفسي عن أمور كثيرة * حفاظا و أنهى شُحها أن تطلعا**

يكشف الناقد يوسف عليمات أن المقطع كاملا تمحور حول مركزية الانسان و محاولة حمايته أو تحصينه حتى لا يكون ضحية خاضعة للتحولات الزمنية فالذات الشاعرة تتحرك بفاعلية اتنقد الجموع لتشكل ميثاقا أخلاقيا يعلي قيمة الحياة و يلغي مفاهيم التسلط و القهر والموت والانهزام. (عليمات يوسف ، 2015، ص158).

أما الفاعلية الثانية في إطار مقطع التعاويذ المضادة فهي فاعلية العمل الجماعي و تتجلى في قول الشاعر :

ونحن جلبنا الخيل من سرو و حمير * إلى أن وطئنا أرض خثعم أجمعا**

فمن يأتنا أو يعتــرض بسبيلنا * يجد أثرا دعسا وسخلا موضعا**

وتتكرر الواو الاستئنافية في باقي الأبيات يؤكد لغة العنف في التعامل مع الآخر / الضد من أجل حماية الذات القبيلة ، ليضحي صوتا سلطويا ينمحي إزاءه أي فعل مضاد إذ تصبح تهديدات هذا الصوت "فمن يأتنا أو يعترض بسبيلنا ..." لعنة ينعدم بفعلها وجود الآخر ، و تتوالى الأفعال الدالة على سلطة الحضور الجمعي في هذا المقطع مما يمنح الجماعة القبيلة مركزية مؤثرة و مشروعية حقيقية في ثورتها على الانسان السلبي. (عليمات يوسف ، 2015، ص162).

أخيرا قد يضيق بنا المقام في الوقوف على كل ما وقف عنده الناقد غير أنّه يؤكد في ثنايا دراساته المتعددة لنماذج من الشعر الجاهلي إلى أنّ " النص الشعري الجاهلي نص كوني مفتوح على الثقافة و المجتمع ، فهو نص يتضمن في بنيته الرمزية أحلام الفرد والجماعة وإشكاليات الحياة و تعقيداتها، و إذ كانت الثقافة مصدرا من مصادر الهوية كما يقول ادوارد سعيد ، فإنّ الشاعر الجاهلي تمكن من صياغة هويته بفعل تأكيد انتمائه للقبيلة / المجتمع ، فكان صانعا لثقافة الحلم المشروع ببناء عالم انساني ينتصر للقيم و المبادئ الإنسانية النبيلة ، وهذا ما يجعل النص الشعري الجاهلي نصا نسقيا ومجازيا مختزلا للأضداد المتعالية. (عليمات يوسف ، 2015، ص142).

5. خاتمة:

لقد كانت ميولات الناقد يوسف عليمات النّقديةُ تهتم بدراسةِ الشّعرِ الجاهليّ، منطلقًا من رؤيةٍ ثقافيةٍ مغايرة ومعاصرةٍ في علاقةِ الشّعرِ بالثقافةِ، مفسرًا الشّعرِ العربيّ تفسيرًا ثقافيًّا، محطمًا القوالبَ التّقليديةَ الجاهزةَ في الكشفِ عن الملابساتِ الثقافيّةِ والتّاريخيةِ، مؤمنًا بأنَّ دورَ النّاقدِ يتمثّلُ في تجاوزِ التّنظيرِ إلى آفاق التطبيقِ، وتكمنُ مهمّته أيضًا في تفكيكِ شيفرةِ النصِّ الشّعريّ ورموزهُ .

6. قائمة المراجع:

1. آرثر ايز بر جار: النقد الثقافي (تمهيد مبدئي)، تر: وفاء إبراهيم ورمضان سيطاويس، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والإبداع، الكويت، 2000،.
2. سايمون ديورنغ: الدراسات الثقافية (مقدمة نقدية)، تر: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الكويت، عدد يونيو2015.
3. سعيدة تومي / مصطفى البشير قط ، المضمر النسقي في الشعر الأموي ، مجلة العمدة في اللسانيات و تحليل الخطاب ،م3/ع2 2019 ، جامعة المسيلة .
4. طراد الكبيسي ، مداخل في النقد الأدبي ، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان ،2009،.
5. عبد القادر طالب ، النسق الثقافي و سمات التشكل في الخطاب الأدبي ، مجلة دراسات لسانية ، م2، ع10.2018،.
6. عبد الله الغذامي ، القبيلة و القبائلية / هويات ما بعد الحداثة ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، ط2، 2009.
7. عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي /قراءة في الأنساق الثقافية العربي، المركز الثقافي العربي - بيروت – ط3- 2005..
8. يوسف عليمات ، النقد النسقي / تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي، الأهلية للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2015 .